

أضواء البيان

@ 402 @ يقولوا يا نبي الله أو يا رسول الله ونحو ذلك . .

وقوله : { أَلَمْ تَحْجِبْ أَعْمَالَكُمْ } أي لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم ، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أي لا تعلمون بذلك . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من لزوم توقير النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمه واحترامه جاء مبيناً في مواضع آخر كقوله تعالى : { لَسْتُ وَمِنْكُمْ بِرَبِّكُمْ } وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ { على القول بأن الضمير في تعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم . وقوله تعالى { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } كما تقدم وقوله تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ } . وقوله هنا : { وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ } أي لا تنادوه باسمه : يا محمد . .

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه ، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير ، كقوله : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } . { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } . { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } . { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله { وَقُلْنَا يَا آدَمُ } . وقوله : { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ } وقوله : { قَالَ يٰزُوحُ إِنَّ نَبِيَّكَ لَمِّنْ أَهْلِكَ } . قيل { يٰزُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا } . وقوله : { قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنَّ زَايِدًا مِّنْكَ عَلَى الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ } . وقوله : { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا } . وقوله : { يٰدَاوُدُ إِنَّ نَبِيَّكَ لَمِّنْ } . .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب ، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ } . وقوله : { وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ } . وقوله : { مُحَمَّدٌ } . .

وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه صلى الله عليه وسلم بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، أي أخلصها لها وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم ، وذلك في قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْتَوْنَ } .

